عندما غزا المسلمون إيرلندا

قصة عاشها محمد خليل الكسيح

(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)

"كان ثلاثة صبية متكومين ومستلقين وقد بلغ الضعف بهم إلى حد عدم القدرة على الوقوف وأطرافهم الصغيرة أصابها الهزال وأعينهم

غائرة وقد ذهبت أصـوات حنـاجرهم. لقد كانوا بلا ريب في أقصـى مراحـل الجوع

من حـــديث شــــاهد على المجاعــة الإيرلنديــة عــام 1847 م

تطلــع الســلطان عبــد المجيــد إلى ميــاة البوسفور وكأن حـديث غاضـب يـدور في رأسه مع نظرة قاتمة وازدادت مع حـديث مستشاره عن رفد المعونـة الماليـة الـتي أرســـلها للشـــعب الإيرلنـــدي بحجـــة أن القانون البريطاني لايسمح بـذلك حيث أن الملكـــة فكتوريـــا تـــبرعت بـــالفين جنيـــه اســـترليني فقـــط بينمـــا كـــان مســـاعدة السلطان ب10 الاف والتفت غاضـبا وهـو يقول

- وهل القانون البريطاني للمملكة الـتي لاتغيب عنهـا الشـمس يسـمح بمـوت الأطفال جوعا على أرضهم في جزيرة غنيـــة بـــالخيرات ولايأكـــل شـــعبها إلا البطاطا
- ايرلندا كاثوليك لذا يتم التعامـــل معهم بشكل مزري.. يقولـون أن اللـه فعـل بهم ذلك لأنهم كاثوليك
- الله لايظلم.. البشر من يفعلون ذلك

- التقارير تؤكد أنها مجاعة مصطنعه عشرات السفن الانجليزية تحمل أطنان من الفاكهة والخضروات من ميناء دبلن
- الثورة الصناعية صنعت رجال بلا قلوب.. لا أتخيل أرض مليئة بالخيرات يموت أهلها جوعا بسبب هذا الظلم.. ما اسم الآفة التي أصابت محصول البطاطا

اللفحة المتأخرة (phytophthora infestans) فيتوفثورا انفستنس

- أدعو الله أن يجدوا علاج لها فحتى السفن التي سنرسلها لن تكون كافية لحل المشكلة بشكل جذري
- المسافة بعيدة أيضا من المفترض أن تقوم الولايات الأمريكية بذلك فالشعب الأمريكي مكتظ بالإيرلنديين وأعتقد أنهم يجب أن يرسلوا مساعدات لأخوانهم هناك

- هذا يجب أن يحـدث أيضـا حـتى تنتهى هذه المنحة ولكن متى ينتهى الظلم
- الظلم لن ينتهى أبدا طالما هناك حياة وبشر
- ولكن واجبنـــــا كبشـــــــرمنع الظلم وكمسلمين فالمسؤولية أكـبر وواجبنـا لدفع الظلم ملزم فهذا ديننا۔
- السفن تستعد للمغادرة وستصل خلال أيام إن شاء الله
- اذهب للمينـاء واطمئن بنفسـك وابلـغ الريس محمد بأن يتوخى الحذر فربمـا يقابل مشاكل

توجــه ريس عمــال المينــاء إلى الــريس محمد واخبره بأن العمال رفدوا الحصـول على أجــور مقابــل تحميــل المســاعدات لمجاعــة البطاطــا ولكن الــريس محمــد طلب منــه أن يــدفع لهم فهــذا حقهم وأن يصـــلوا ويــدعوا اللـــه حـــتى تنتهى هـــذه المأســاة وأيضــا لكى تصــل الســفن في سلام.

التف بعدها إلى مستشار السلطان الذي حضر ليطمئن على سير الأمور ويخبره برسالة عبد المجيد وأخبره الريس محمد بان السفينة الأولى والثانية خرجت بالفعل وتلحقها الثالثة خلال أقل من ساعة لذا لم يطيل المستشار الحديث ودعى لهم ثم أنصرف لتبدأ رحلة الريس محمد إلى الأراضي الإيرلندية.

أصبحت الجنائر ودفن الأطفال على وجه الخصوص من المشاهد المألوفة في بلدة سكيبرين ونظرا لكثرة الجثث فقد تم إعداد تابوت يفتح من الأسفل حتى يتمكنوا من دفن عدد أكبر بنفس التابوت.

وبعــد أن انتهت المراســم المعتــادة وتم دفن أكــثر من 50 طفــل جلس العمــال على جانب الطريق يتحدثون

- دفنت خمسين اليوم أكثر من نصــفهم أطفال
- مـر أكـثر من عـامين مـتى ينتهى هـذا البؤس؟
- يقولــون عنــدما نصــبح بروتســتانت سيرفع الله غضبه عنا
- عندما يصبحوا بشر.. عشرات السـفن تحمــل خــيرات بلادنــا إلى كــروش الانجليز المتخمة وأطفالنا يموتون كـل يوم
- حــتى قبــل الآفــة كنــا لانجــد ســوى البطاطا.. والان الصراصير
- هل تأكل الصراصير؟
- كيف تظنني أعيش وأمشي إلى اليـوم فكل أخوتي رحلوا أما أمريكـا أو أرض العذاب استراليا

انتبهوا إلى سيدة قادمة تحمـل رضـيع بيــديها وتســاءل أحــدهم عن ســبب حضورها فأجاب الآخر

- أيها الأحمق الرضيع ميت

توجم الجميع ولم تتحدث السـيدة فقـط كانت تحتضن طفلها وتنظر إليهم فتوجه أحدهم لها ليحمله فتركته لـه ليتاكـد من وفاته ونظر لها وهو يقول

- لاتقلقي أطفالنـا في الجنــة.. أن اللــه يحبهم لـــذا فهم الان بعيـــدا عن أرض الظلم

لم ترد السيدة لفترة فقط كـانت تصـدر صـوتا أشـبه بـالنحيب المكتـوم وأخـيرا تكلمت وقالت

- لقـد رأيت حلم بـالأمس ورأيت طفلي يدخل في النور فعـرفت أنـه سـيموت ولكـني رأيت أيضـا أسـود تهبـط على جزيرتنا

- هذا حلم جيد لابد أن الفرج قريب وأن الخير قادم على بلادنا

وقـــف الـــريس محمـــد على مقدمـــة السـفينة وكأنهـا يـدفعها لتتحـرك ولم يتحدث بكلمة فقط ينظر إلى الامام في تـــرقب ثم يلتفت إلى المـــراقب أعلى السفينة ثم يعـاود النظـر وأخـيرا التفت إلى مساعده الذي قال

- سيدي أنت لم تأكل بعد
- يكفيني تمرة واحدة لن نموت جوعا
- أليس غريبا أننا نحمـل طعـام إلى بلـد مليئة بالخيرات وأهلها يموتون جوعا
- ومـا ضـاقت بلاد بأرضـها ولكن عقـول الرجال تضيق
- العقول والقلوب.. أنهم بلا رحمة حتى المساعدات يمنعون وصولها
- من مصلحة بريطانيا العظمى القضــاء على الشعب الإيرلندي لأنهم أعـدادهم تشكل تهديد لنظامهم البائس

- اعتقــدت أن الأمــر مرتبــط بالديانــة الكاثوليكيـــة والبروتســـتانت وهـــذا الصراع السخيف
- الأمر مرتبط بالجشع والعنصرية
- لذا نقول فتوحات اسـلامية واسـتعمار غربي
- صــحيح فتوحــات الاســلام مرتبطــة بــالخير والعــدل والســلام ولايمكن أن تجد حروب ابـادة أو ظلم لأهـالي كمـا يفعلون.. نحن نسعى لتغيير نظام إلى نظام عادل لا لسرقة أراضـي أو قتـل شعوب
- ولكننا نخسر هذه الأيام وربما يحتلـون أراضينا خلال السنوات القادمة
- لأننـا لم نأخـذ بأسـباب العلم وأهملنـا ديننا.. مشاكلنا داخلنا
- ولكننــا نحمــل مســاعدة لقــوم غــير مسلمين أليس هذا جيدا

- طبعا وحمدت الله أن اســتخدمني في هذه الطاعة وأدعو اللـه أن نوفـق في الوصول

هنا صاح المراقب بكلمة سـفينة وأشـار إلى احــد الاتجاهــات فالتقــط الــريس محمد منظاره وتطلع ثم قال للمساعد

- بريطانيـــة.. عســـكرية.. الكثـــير من المدافع

وعلى ظهــر الســفينة كــان المســاعد بالفعـــل يقـــف إلى جـــوار القبطـــان فوربيس وهو يشـير لسـفينة العثمـانيين قائلا

- العثمانلي... هل نغرقهم؟
- هـــــل أنت أحمـــــق أنهم يحملـــــون مساعدات لأهلنا
- الكاثوليك ليسوا أهلنا
- أنهم بريطـــــــــانيون.. ألآ تتعلم منهم؟ يحملون مساعدات ويضحون بأنفسهم

لناس لا يعرفـونهم وليسـوا من دينهم فقط لأنهم بشر

- ماذا سنفعل؟
- سأذهب إليهم أريد أن اري قبطانهم

بالفعــل توجــه بالقــارب إلى الســفينة واستقبله الريس محمـد وبعـد التعـارف انفرد فوربيس بالريس محمد وقال له

- أعلم أنك في عجلة ولن أطيل عليك.. هل لديك مدافع على هذه السفينة
- ليست كثيرة مثل مدافعكم
- أذن جهزها ربما تعترضك قراصنة بعـد قليل
- كيف يمكن أن يوجد قراصـنة في هـذا الطريق.. لسنا بالقرب من كارولينا
- ربمــا يوجــد من يحــاول منعــك من الوصــول وغالبــا في مينــاء دبلن لن يوافقــوا على انــزال الحمولــة.. اذا حدث ذلك توجه ليلا إلى دورغيدا على مسافة 30 ميل
- أشكرك ولكن لماذا تخبرني بذلك؟

- يمكنك أن تقول أنني انجليزي يرفض ما تفعله حكومته
- ساقول أنك بشر

أسرع فوربيس عائدا إلى سفينته واصدر أوامر بمراقبة السفن العثمانية من بعيد واستعد الريس محمد ورجاله للمعركة القادمة مع القراصنة وبالفعل بعد أقل من ساعة ظهرت سفينتين ويبدو أنهم كانوا واثقين من أنها سفن تجارية محملة بالبضاعة وأرادوا صيدها فاقتربوا دون مبالاة ولكن كانت المفاجاة عندما اطلق رجال السفينة العثمانية السهام النارية على أشرعة أحدي السفن وضربوا بالمدفع دفة السفينتين وكان بمقدور البحارة قتل القراصنة ولكن الريس محمد أشار لهم بالتحرك السريع وتركهم. وعلى ظهر السفينة الانجليزية كان فوربيس ومساعده يراقبون ما يحدث وتساءل المساعد

- لماذا لم يقتلوا القراصنة
- لأنهم مسلمين.. يبدو أن دينهم ينهاهم عن ذلك
- كما يأمرهم بمساعدة الكاثوليك
- صحيح
- دين كهذا أقاتل معه لا ضده
- أخشى أن تجبرنا الأيـام على قتـالهم.. سيكون هذا مؤسفا

حدث ما أخبر به فوربيس الريس محمد حيث رفض ميناء دبلن تنزيل المساعدات بل وأكدوا له أنها إذا نـزلت سيتم مصادرتها والأفضل لـه الرحيل وماطل الـريس محمـد فقـط ليسـتهلك الـوقت حـتى يقـترب الظلام وبالفعـل

وتحت حمايـــة الظلام توجـــه إلى مينـــاء دورغيــدا وهنــاك رســت الســفن وبــدأ البحارة في انزال المساعدات ويبدو أن الخــبر انتشربســرعة فتوافــد الأهــالي لاســتقبال العثمــانيين ونقــل البضــاعة واعتــذر الــريس محمــد لحــاكم المدينــة حيث كان يتمنى لو أحضر أكثر من ذلـك وشــكره الحــاكم وأخــبره بــأن الشــعب الاليرلنــدي لن ينســى أبــدا مــا فعلــوه وستبقى المجاعة وأحـداثها في الـذاكرة وأيضا من مد يده بالمساعدة ومن بخـل بها.

التف شاب صغير إلي أبيه المنهمـك في الأكــل وهــو بــدوره كــان يمســك حلــوى يأكلها وسأله

- أبي من هؤلاء الناس
- مسلمون أو عثمانيون
- لمــاذا يفعلــون ذلــك؟ لقــد جــاءوا من مكــان بعيــد ونحن الإمبراطوريــة الــتي لاتغيب عنها الشمس

- لاتغيب عنهــا الشــمس لأنــه لايمكن الوثـوق بـالانجليز في الظلام... هـؤلاء مســلمين دينهم يــأمرهم بمســاعدة النــاس المحتــاجين وليس هنــاك من أحوج منا.

تقدمت السيدة التي كانت تحمل طفلها الرضـيع الميت من البحـارة المسـلمين وســألتهم عن قائــدهم وهي تصــطحب أطفالهــا فتقــدم منهــا الــريس محمــد فقالت له

- أطفالي ماتوا في المجاعة ولكن تبقى معي أبـني 12 عـام وبنـتين وأريـد أن يذهب أبني معكم أسمه بوسطن
- يذهب معنا إلى أسطنبول
- نعم أريـــــده أن يكـــــون منكم ويتعلم مثلكم وهـذه أمـوال من أجـل النفقـة عليه
- احتفظي بأموالك سيكون أبننـا وأخينـا منذ هذه اللحظة ولكن هل هـو سـعيد بذلك؟

والتـف إلى بوسـطن الـذي هـز رأسـه فرحـا علامـة الموافقـة فأكمـل الـريس محمد

- حسـنا اصـعد إلى السـفينة وعنـدما تنتهى هذه المأساة سـيأتي لزيارتـك.. أتمنى أن يستمر النشاط البحري بيننـا إن شاء الله

ودع بوسـطن أمـه وأختيـه وأسـرع إلى السفينة بينمـا احتشـد النـاس لتـوديعهم في احتفـال جميـل رغم مظـاهر الفقـر والجوع التي تبدو عليهم إلا أن السـعادة كـانت تملأ وجـوه الجميـع سـواء النـاس على الشاطئ أو البحارة بالسفن وسال المسـاعد الـريس محمـد عن إمكانيـة العودة بمساعدات جديدة ولكنـه أخـبره بأن ذلـك في علم اللـه ولكن مـا حـدث يشكل إحراج كبير للحكومـة البريطانيـة وللملكة فكتوريا فمن ناحية لن يسمحوا لسـفننا بـالعودة وأيضـا يجب أن يجـدوا

حلول جذرية لهذة المجاعة التى صــنعها فسادهم وعنصريتهم لأبناء شعبهم.

انتبه لاعب كرة القــدم مــتين اوكتــاي ألى اليافطة المعلقة على شعار نادي دورغيدا لكرة القدم وسأل زميله الإيرلندي

- أليس هذا علم تركيا
- صحيح.. نرفعه احتفالا باليوم الذي غزا فيه الأتراك إيرلندا
- الاتراك لم يغزوا إيرلندا.. مــتى حــدث هذا؟
- أثناء مجاعة البطاطا عام 1845 حــتى 1852 م ولكن الغـــــزو لم يكن خلال معركة بل كان بالحب

- الحب.. جميل جدا
- القصة يعرفها الشعب الإيرلندي كله عندما حضر العثمانيون بثلاثة سفن محملة بالطعام أثناء المجاعة ولم يكن وراء ذلك هدف أو مصلحة أو حتى واجب مفروض عليهم.. لقد كانت الانسانية والحب.. لقد أخبرتك الشعب هنا يحب المسلمين والأتراك خصوصا
- لم أكن أعرف هذه القصة
- يجب أن تعرفها لكى تعرف دينك حق المعرفة وكيف يجب أن يكون المسلم الحق

هز متين رأسه ولم يرد ولكنه علت وجهه ابتسامة مشرقة والكثير من التساؤلات وسعد بالحفاوة التي استقبلها بها رواد النادي رغم أنها الزيارة الأولى له.

مجاعة البطاطس الإيرلندية من عام 1845 – 1852م أدت إلى وفاة مليون

مواطن وهجرة 2 مليون وانخفض سـكان إيرلندا بنسبة 25 % وقـام رئيس الـوزراء توني بلير عام 1997 بالاعتـذار الرسـمي لايرلنـــدا عن طريقـــة تعامـــل المملكـــة المتحدة مع الازمـة والإهمـال والعنصـرية التي أدت الى تلك الكارثة التي لن تنسـى أبدا.

أنشـئ متحـف الجـوع الكبـير في جامعـة كوينيبياك في مدينة هامدن – كونيكـتيكت ليكـــون مصـــدرا للبـــاحثين عن مجاعـــة البطاطا لتوفير كافة المعلومات عنها.

المجاعة كان تتويجـا لأجيـال من الاهمـال وسوء الحكم والقمع.. لقـد كـانت ملحمـة من القسوة الاستعمارية الانجليزية.

دينيس كلارك المـــؤرخ الأمريكي

انجلترا حكمت أيرلندا من منظور الـدفاتر التجاريـة وتـركت الالتزامـات الأخلاقيـة جانبا..

جيمس انتوني فرويد

كانت مجاعة مصطنعة.. دمرت جزيرة غنية وخصبة...

جون ميتشيل 1860 م

أحد قادة حركة ايرلندا الفتاة

الصورة من شوارع مدينة دبلن

أدَّت آفة اللفحة المتأخرة الزراعية إلى حدوث مجاعة البطاطس في أيرلندا- (Britannica)

رسم تخيلي يجسد مظاهر البؤس والجوع بين الأيرلنديين زمن المجاعة

لوحة تجسد مظاهر البؤس لدى الأيرلنديين زمن المجاعة

بعض الجوعى في بلدة سكيبرين، بريشة جيمس ماهوني (1810–1879)، نُشرت في أخبار لندن المصورة، سنة 1847.

TO

His Imperial Majesty

SULTAN

ABDUL MEDJID KHAN

EMPEROR OF TURKEY

MAY IT PLEASE YOUR MAJESTY

We the undersigned Noblemen, Gentlemen & Inhabitants of

IRELAND

beg leave most respectfully to approach Your Majesty, in order to testify our deep-felt thanks and gratitude for the munificent act of benevolence and attention lately displayed by Your Majesty towards the suffering and afflicted Inhabitants of IRELAND, and to thank Your Majesty on their behalf for the liberal contribution of

One Thousand Pounds

lately given by Your Majesty to relieve the wants and mitigate the sufferings of the Irish People.

It has pleased PROVIDENCE in its wisdom to deprive this Country suddenly of the staple article of food and to visit the poor Inhabitants with privations, such as have seldom fallen to the lot of any civilized nation to endure. In this emergency the People of Ireland had no alternative but to appeal to the kindness and benevolence of other Countries less afflicted than themselves, to save them and their Families from Famine and Death and Your Majesty has responded nobly to the call, thereby displaying a worthy example to the other great nations of Europe, to assist their suffering fellow-creatures in affliction.

For this timely and benevolent act whereby numbers were relieved and saved from perishing, We beg leave again on their behalf, to testify our grateful acknowledgments to Your Majesty and to express an ardent hope that the vast territories which acknowledge Your sway and participate in Your bounties, will be saved from those privations and afflictions which it has been our unhappy destiny to endure.

رسالة الشكر إلى الدولة العثمانية من الشعب الإيرلندي

ملاحظة المؤلف:

يوجد الكثير من القصور في القصة لحاجتي لزيارة إلى مدينـة دورغيـدا ومتحـف الجـوع

بإيرلندا وأيضا مراجعـة الأرشـيف العثمـاني ولكنهـا في النهايـة محاولـة مـني لمعرفـة كيـف يجب أن نكـون وعظمـة هـذا الـدين الذي ننتمي إليه.

محمـد خليـل الكسيح